وصف القرآن الكريم لليهود وأخلاقهم

د. محمد فلاح مندكار*

تاريخ استلام البحث: مايو ٢٠١٨م تاريخ إجازة البحث: يوليو ٢٠١٨م.

ملخص البحث

هذا البحث يهتم بحديث القرآن عن اليهود وبني إسرائيل من الناحية الشخصية والنفسية؛ وذلك بعرض آيات القرآن التي تتحدث عن الشخصية اليهودية وتبين سماتها وأخلاقها، وتعرض عقيدتها ودينها، وتسجل مزاعمها وافتراءاتها في حق أنبياء الله ورسله.

ويتبين من خلال هذا البحث كشف التصوير القرآني لنفسية اليهود المعقدة، والتي تأصلت فيها الغدر والخيانة والمكر والخديعة، وذلك في ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: عن أسماء اليهود وذكرهم في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: عن دناءة اليهود ووقاحتهم مع الله وأنبيائه وملائكته.

المبحث الثالث: تفصيل لصفات الشخصية اليهودية ونفسيتها كما صورها القرآن.

مقدمة

الحمد لله حمد الذاكرين والشكر لله شكر الزاهدين، والدعاء والتوسل والرجاء له سبحانه بأن نكون من عباده المتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيد الكونين، الرحمة المهداة والنعمة المسداة، الذي بعثه الله ليتم به النعمة، ويرد شارد البشرية في أخلاقها إلى صراط الله المستقيم، وبعد:

فإنَّ المتدبر لآيات القرآن وسوره يجد اليهود وبني إسرائيل قد شغلوا فيه حيزا كبيرا جدا، سواء منه المكي والمدني، حتى لقد ورد ذكرهم تصريحا أو تلميحا، مسهبا أو مقتضبا في أكثر من خمسين سورة.

وقد وُجد في عصرنا الحاضر عدو اغتصب أرضنا وانتهك محارمنا واستباح دماءنا ودنس مقدساتنا، ألا وهم اليهود – أو ما يسمى بإسرائيل – هذا الخنجر المسموم الطاعن في

(*) الدكتور/ محمد فلاح مندكاريحمل شهادتي الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن والقراءات . والماجستير في التفسير وعلوم القرآن والقراءات . يعمل أستاذاً مساعداً بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت . له عدة أبحاث علمية محكمة ومنشورة في مجال علوم القرآن والقراءات . الاهتمامات البحثية : علم القراءات والتفسير وعلوم القرآن .

خاصرة المسلمين عامة والعرب خاصة، وحتى نَسْلَمَ من كيدهم وحقدهم لابد من معرفتهم حق المعرفة، طباعهم، شخصيتهم، تفكيرهم، أحلامهم... إلخ وأفضل ما نتوجه إليه ليعطينا خبايا هؤلاء القوم هو القرآن الكريم.

فلم يهتم القرآن بقوم قدر اهتمامه باليهود، حيث فصّل صفاتهم وأخلاقهم وطباعهم واستخرج المقومات الثابتة للنفسية اليهودية، وبذلك أعطى القرآن المفاتيح الحقيقية لمعرفتها، وعرّى النفسية اليهودية من زيفها وخداعها، وكشف عن حقيقتها، فإذا هي نفسية مريضة شاذة تنطوي على علل وأمراض لا يرجى منها شفاء.

ولا يخفى على مسلم معاصر أن المشكلة اليهودية من أعوص المشكلات، وأن الخطر اليهودي الداهم مدمر يهدد الأمة الإسلامية ويهدد وجودها؛ لذا أقبلت على القرآن الكريم وجمعت الآيات التي تتحدث عن اليهود، فوجدت الكثير من الحقائق والمقررات عنهم تجلي لنا الشخصية اليهودية وهذه النفسية بكل تفاصيلها وسماتها وأخلاقها وطباعها وبخاصة مع أنبياء الله وحقدهم الأسود على الحق والخير والفضيلة، وكذا عقوبات الله لهم والتي عُللت في كثير من الأحيان بالسبب النفسي الذي استحقوا به هذه العقوبة.

وموضوع هذا البحث يختلف عن كثير من موضوعات كتب تحدثت عن اليهود، حيث إنني لم أرد أن أتحدث عن تاريخ اليهود ولا عن بني إسرائيل وأسباطهم وممالكهم ودولهم لا من أسفارهم ولا من القرآن، بل أَعرض تدقيقا لحديث القرآن عن اليهود وبني إسرائيل من الناحية الشخصية والنفسية، ووقفت وقفة – لا أقول مطولة بل متأملة – أمام آيات القرآن وهي تتحدث عن الشخصية اليهودية وتبين سماتها وأخلاقها، وتعرض عقيدتها ودينها، وتسجل مزاعمها وافتراءاتها لا في حق عموم البشر، بل في حق أنبياء الله ورسله، وتصف عقوبات الله ضدها جزاء هذه السمات وتلك الأخلاق وهذه النفوس.

وفي هذا البحث لن نتعرض لعقوبات الله لهم كاللعنة، وأمرهم بقتل بعضهم البعض حتى تقبل توبتهم، والحكم عليهم بالتيه في سيناء.. إلخ، فهذه عقوبات وليست وصفا لشخصية اليهودي.

لذا سوف يقتصر حديثنا عن صفاتهم ونفسيتهم كما يصورها القرآن حتى لا يطول بنا المقام جدا [1].

(١) المتأمل في نصوص القرآن يجد ما يتعلق بجزاء اليهود وبني إسرائيل يشمل: قتلهم أنفسهم، =

ويكفي أن نشير في هذه المقدمة إلى المحاور الأساسية التي وصف بها القرآن الكريم نفسية اليهودي ورسم فيها سماته الشخصية – وبخاصة المدني منه، حيث إن القرآن لا يكتفي بظاهر الشخصية فهو حين يتحدث عن اليهود يغوص في أعماق هذه النفسية المضطربة المزاج المليئة بالمتناقضات، تعمق فيها الغدر والحقد والحسد واللؤم والمكر والخديعة، وذات سلوك شاذ لا في التفكير فقط، بل في الحوار والعقيدة كذلك، وكأنها مزجت مزجا من هذا المزيج المريض، فكانت نتاجا مرا شائها له، فما من نقيصة إلا وتمثلت في اليهود، وما من خلق ذميم ولا رذيلة إلا اقترفوها، بحيث يصدق على هذه النفسية أنها مجمع نقائص، وتجسيم رذائل.

ولعل أبرز صفاتهم النفسية المميزة لشخصيتهم: صفة الذلة والخنوع، وقد ركز القرآن عليها كأحد أهم ملامح الشخصية اليهودية؛ لذا حظيت هذه الصفة بشيء من الذكر في المبحث الثالث من بحثنا هذا.

وقد ارتبطوا في الوجدان والواقع بالنشاطات التجارية، بل إن كلمة مرابي إذا أطلقت انصرفت فورا كوصف لليهودي حسب تعبير أستاذنا الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الأيديولوجية الصهيونية، وصدق الله حين يقول: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة ٦٢).

كما أن النظر في العرض القرآني يجد هذه الشخصية مصابة بداء هوى النفس والإصرار على المعصية، ومما وضحه القرآن كذلك اتسام هؤلاء الناس بسمة العنف وعقدة الاضطهاد لديهم لا تخفى على متبصر؛ مما جعلهم دائما يحاولون السيطرة على مواطن القوة والتي أدت إلى الحذر والتوجس والعزلة والعدوانية، كما وصفهم القرآن بمحاولة صناعة الأعداء والبحث عن الأمان؛ لأنهم يفقدون الثقة في كل شيء وفي كل أحد مما يبرز الأنانية المفرطة والتخبط العقدي والانحراف الخلقي.

= اقتلوا أنفسكم، النار، الغضب، قذف الرعب في قلوبهم، حبطت أعمالهم، ألقينا بينهم العداوة، حرمنا عليهم، قردة خاسئين، عذاب الحريق، يسومونكم سوء العذاب، اللعنة، الخزي، الويل، نتقنا الجبل، باءوا بغضب، اهبطوا مصر، الرجز، الصاعقة، لا ينظر إليهم، لا يزكيهم، لا يكلمهم الله، والملاحظ أن هذا الجزاء وقع، وبعضه يتجدد بتجدد السلوك، وقسم آخر أعده الله للمخالفين من بني إسرائيل يوم القيامة، ولكل من يسلك سلوكهم أو يقتفي أثرهم.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات عن اليهود وشخصيتهم، وقفت على ما له صلة بموضوع هذا البحث، فكان من أهم هذه الدراسات: –

١– التصوير القرآني للنفسية اليهودية دراسة تحليلية للدكتور أيمن السيد علي الصياد، منشور بمجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد الثاني عشر، السنة السابعة، وهو بحث جيد رصد الأطر التصويرية للشخصية اليهودية في القرآن وهي: التناقض في النفسية وهوى النفس والإصرار على المعصية، العنف، الأنانية المتعالية وفقدان الثقة، التخبط العقدي.

٢– صفات اليهود كما يصورها القرآن للدكتور زكريا إبراهيم الزميلي، منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، المجلد الثمن عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٠م، وقد ركز على بعض صفات اليهود كحب الدنيا وكراهية الموت، الرهبة، اختلاف قلوبهم، وأغفل الكثير من صفاتهم النفسية.

ولقد كنت أتهيب الكتابة في هذا الموضوع الضخم؛ لأن ما كتب عن اليهود وبني إسرائيل كثير فماذا عساي أن أقول ؟! وكما يقول شاعرنا العربي: هل غادر الشعراء من متردم ؟ فهل ترك لنا من كتب عن اليهود أو عن تاريخهم شيئا جديدا يكتب ؟! فكدت أن أنصرف عن الموضوع برمته، إلى أن عثرت على بضعة أوراق في مكتبتي الخاصة كنت قد دونت فيها بعض الأفكار عن هذا الموضوع والذي نصحني بالكتابة فيه أحد أساتذتي الأجلاء شارحا لي أهمية الكتابة في مثل هذا الموضوع وأنه لا يزال بحاجة لكثير من الجهد والتدقيق، فاعتبرت عثوري على هذه الأوراق بمثابة الإشارة منه سبحانه لاستكمال العمل فيما كنت أفكر فيه، فاستجمعت جهدي وطاقتي وتوكلت على الله شارعا بالكتابة فيه مقتصرا على القرآن الكريم فقط – بحكم تخصصي – متدبرا آياته منقبا عن أسراره في وصف هؤلاء القوم وقد حاولت قدر الإمكان عدم التأثر بقناعاتي السابقة عن هؤلاء الناس، بل حاولت استنطاق الآيات القرآنية مجليا ما أخفته من كنوز وأسرار، جامعا إياها في نسق متكامل حتى تعطي للقارئ الكريم صورة لا أقول متكاملة، بل شبه متكاملة عن شخصية هؤلاء القوم ونفسياتهم بصورة كلامية أشبه ما تكون بالصورة المرئية الشاخصة للعيان، وقد حاولت قدر الإمكان أن أكون موضوعيا غير متحيز أو متجن عليهم، أو متصيدا لسمات وأوصاف أبعد ما تكون عن الوصف القرآني.

خطة البحث:

وقد استدعت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وقيمته والدراسات السابقة وخطة البحث وثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: عن أسماء اليهود وذكرهم في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: عن دناءة اليهود ووقاحتهم مع الله وأنبيائه وملائكته.

المبحث الثالث: تفصيل لصفات الشخصية اليهودية ونفسيتها كما صورها القرآن، وخاتمة حوت أهم نتائج هذا البحث، ثم قائمة المراجع.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفق كاتبه قبل قارئه، إنه سبحانه وتعالى ولينا، فله الحمد في الأولى والآخرة.

المبحث الأول
أسماء اليهود وذكرهم في القرآن الكريم

عند البحث في التاريخ والكتب المقدسة أول ما سمع عن اليهود كان مع إبراهيم – عليه السلام –أبي الأنبياء خليل الرحمن – الذي ظهر مع قومه في القرن الثامن عشر قبل الميلاد كجماعة من البدو الرعاة الرحل على المشارف والتخوم لجنوب العراق في مدينة أور [1].

ونحن أمام عدة مصطلحات تطلق على هذه الطائفة من البشر:

١- أولها العبريون مشتقة من هجرتهم من أرض كلدان إلى أرض كنعان حيث عبروا النهر ولا يدرى على وجه التحديد أهو نهر الفرات أم نهر الأردن[2] حتى إن العهد القديم أطلق لفظ عبري على يعقوب ويوسف – عليهما السلام –، ففي حادثة امرأة العزيز مع يوسف جاء على لسانها:« انظروا كيف جاءنا برجل عبراني ليتلاعب بنا أتاني ليضاجعني فصرخت بصوت عال» (سفر التكوين ٣٩- إصحاح ١٣)، وفي السجن قال يوسف:« لأني خطفت من أرض العبرانيين وههنا أيضا طرحوني في هذا الجب من غير أن أفعل شيئا»(سفر التكوين ٤٠ – إصحاح ١٥) [3].

---

(١) ينظر: اليهود أنثروبولوجيا، د. جمال حمدان ص ١١، طبع دار المعرف القاهرة ٢٠٠٣ م، من اليهودية إلى الصهيونية، د. أسعد السحمراني ص ١٦، ١٧ طبع دار النفائس، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

(٢) ينظر: اليهود واليهودية، د.عبد الجليل شلبي ص ١٢، طبع مؤسسة أخبار اليوم ١٩٩٧م، اليهود أنثروبولوجيا، جمال حمدان ص ١١.

(٣) (من اليهودية إلى الصهيونية، أسعد السحمراني، ص ١٧.

٢- بنو إسرائيل أو إسرائيل: كلمة غير عربية تعني على الأرجح «عبد الإله»[١] وهو الاسم البديل ليعقوب - عليه السلام - جاء في القرآن فهو مصطلح قرآني: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (ال عمران ٩٣

وبه عرف كل من انحدر من نسله [٢]، يقول السيد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ): «أطلق هذا الاسم على جميع ذرية يعقوب كما هو شائع في كتب القوم» [٣].

٣- اليهود: العلماء في اشتقاقها فريقان، فقيل: هي من الهَوْد أي التوبة، يقول ابن منظور(ت ٧١١هـ): «الهود: التوبة، هاد يهود هودا وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد. وقوم هود: مثل حائك وحوك، وفي التنزيل العزيز: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ وهو قول مجاهد، وسعيد ابن جبير، وإبراهيم النخعي،.. وقيل: معناه تبنا إليك ورجعنا وقربنا من المغفرة؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢)[٤]، وعلى هذا القول سميت اليهود بذلك اشتقاقا من هادوا، فاليهود اسم للقبيلة دخلت عليها الألف واللام على إرادة النسب فقيل: اليهود أي اليهوديين [٥].

---

(١) للعلماء كلام كثير في توجيه معناها أبرزه ما أورده القرطبي (ت ٦٧١هـ) عن ابن عباس أن إسرا: بالعبرية عبد، وإيل الله، وقيل: إسرا: صفوة، وإيل الله، وقيل غير ذلك. راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢ ص ٣٨، ١٢٦، طبع دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م، ويقول الدكتور السيد رزق الطويل معناها: المحب لعبادة الله وطاعته (ينظر: بنو إسرائيل في القرآن ص ١٣، طبع دار المعارف القاهرة، ١٩٨٠ م بدون رقم.

(٢) اليهود من الكتب المقدسة، محمد فؤاد الهاشمي ص ١٣، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٦٧م، من اليهودية إلى الصهيونية، أسعد السحمراني ص١٧، اليهود أنثروبولوجيا، جمال حمدان ص١٢.

(٣) تفسير المنار ج ٤ ص٥، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م. وهنا ننبه إلى أن أبناء إسرائيل - يعقوب - اثنا عشر سبطا وذريتهم وعليه يخرج من أسرة الإسرائيليين أو بني إسرائيل كثير من العبرانيين مثل لوط - عليه السلام - وذريته، وإسماعيل ونسله، وعيسى بن إسحاق ونسله، فهؤلاء عبرانيون وليسوا إسرائيليين، وقد ورد لفظ الأسباط في القرآن خمس مرات (راجع اليهود واليهودية، عبد الجليل شلبي ص ١٢ وما بعدها).

(٤) لسان العرب ج ٣ ص٤٣٩، مادة هود، طبع دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

(٥) الشخصية اليهودية، د. صلاح الخالدي ص ٢٦، طبع دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

وهم أمة موسى – عليه السلام –، وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء؛ أعني أن ما ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان يسمى كتاباً، بل صحفا» (١).

وقال آخرون: يهود أعجمية وليست مشتقة من هود العربية، بل هي تعريب لكلمة يهوذ أحد أبناء يعقوب (٢)، وهو من أسباط بني إسرائيل ثم أصبحت علما عليهم وهم يمثلون البقية الهامة الباقية من بني إسرائيل بعد الأسر البابلي، فصارت تطلق فيما بعد على الإسرائيليين جميعا (٣).

وقد رجح الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ) هذا القول:«هاد فلان: إذا تحرى طريقة اليهود في الدين، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة ٦٢)

والاسم العلم قد يتصور منه معنى ما يتعاطاه المسمى به. أي: المنسوب إليه، ثم يشتق منه، نحو: قولهم تفرعن فلان وتطفل: إذا فعل فعل فرعون في الجور، وفعل طفيل في إتيان الدعوات من غير استدعاء، وتهود في مشيه: إذا مشى مشيا رفيقا تشبيها باليهود في حركتهم عند القراءة» (٤).

٤– أهل الكتاب: وهو مصطلح قرآني يطلق على اليهود والنصارى جميعا، وقد ورد في القرآن في اثنين وثلاثين موضعا، منها أربعة وعشرون موضعا من كتاب الله ورد الحديث عن اليهود النصارى معا وجاء الحديث عن اليهود فقط في ثمانية مواضع، وإذا كان حديث القرآن

(١) الملل والنحل ج ٢ ص١٥، طبع الحلبي، بدون تاريخ.

(٢) يهوذا هو الابن الرابع ليعقوب – عليه السلام – كانت له الرسالة الدينية من بين إخوته فنسبوا إليه باعتبارهم أبناء هذه الديانة، وعلى ذلك فالأسماء الثلاثة ليست مترادفة ولكن قد يستعمل أي منها للجميع تجوزا. راجع اليهود واليهودية لعبد الجليل شلبي ص ١٢، وراجع أضواء على اليهودية من مصادرها لمحمد أحمد دياب ص ٩ وما بعدها، طبع دار المنار القاهرة ١٩٨٥ م.

(٣) لسان العرب ج ٣ ص٤٣٩، مادة هود، اليهود أنثروبولوجيا، جمال حمدان ص ١٢، ومن الملاحظ أن القرآن ذكر المصطلحين الأخيرين ولم يذكر عبري أو عبراني؛ لعدم اختصاصه باليهود؛ لذا تجاوزه تماما.

(٤) المفردات، ص ٨٤٧، طبع دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، وراجع المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي ص ٧٣٩، ٧٧٥.

عن النصارى واليهود داخلاً في إطار الحديث عن بني إسرائيل؛ لأنهم جميعا من بنيه، كما أن أهل الكتاب وبني إسرائيل تاريخيا شيء واحد [1]، إلا أنهما في الاستعمال القرآني يختلفان إذ يستعمل القرآن أهل الكتاب في موضع لا يستخدم فيه لفظ بني إسرائيل، ويستخدم لفظ بني إسرائيل في موضع يكون استخدام اللفظ الآخر غير مناسب، فعندما يذكر القرآن مثلا خيرية أمة محمد ﷺ وأسبابها يذكر أهل الكتاب بأنهم أهملوا تلك الأسباب فاستحقوا البوار ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (ال عمران: ١١٠).

وفي موضع آخر يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ٦٥-٦٦).

ويقول مستخدماً لفظ بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة ٧٨-٧٩).

ويقول: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٣).

وفي جدال موسى مع فرعون: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: ١٠٥).

ففي هذه المواضع وأشباهها غير مناسب، بل لا يجوز استبدال بني إسرائيل بأهل الكتاب.

وكذلك يفرق السياق القرآني بين مصطلحي بني إسرائيل واليهود، حيث إن القرآن يرفض أن يُصنف الأنبياء والصالحون من بني إسرائيل كيهود: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٠).

(١) بنو إسرائيل في القرآن السيد رزق الطويل ص٥٨.

فهؤلاء الصالحين لا يمكن أن يصنفوا ضمن اليهود، ولا أن يحملوا بأخطاء وجرائم اليهود، ولا أن يوسموا بسمات النفسية اليهودية ولا شخصياتهم المضطربة، فالقرآن عندما يتحدث عن بني إسرائيل في تاريخهم السابق على بعثة محمد ﷺ أو ما وقع عليهم من أحداث قبل البعثة كان يطلق عليهم بني إسرائيل، ولما كان يتحدث عنهم في مواجهتهم الرسول ﷺ في المدينة بعد هجرته إليهم ويكشف عن نفسيتهم ودسائسهم وتحريفاتهم ويفند شبهاتهم، ودعايتهم وأقوالهم كان يطلق عليهم « اليهود» [1].

ولعل السر في هذا أن إطلاق لفظ بني إسرائيل عليهم فيه نوع من التكريم لاتصالهم بنبي الله يعقوب، ويضفي عليهم ظلالا دينية وإيمانية وحيث كان منهم الأنبياء والصالحون، أما بعد بعثة النبي محمد ﷺ فقد أصبح هو الوارث الديني والإيماني لا ليعقوب وذريته، بل لكل الأنبياء والمرسلين قبله، ومن كفر به فقد انقطعت صلته بيعقوب وغيره من الأنبياء فلا يستحقون التكريم، وتأمل معي هذه الآيات:﴿ سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةم وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (البقرة ٢١١)،﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتم بَيِّنَٰتم فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورًا ﴾ (الإسراء ١٠١)،﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ (النمل ٧٦).

فالخطاب موجه لسيدنا محمد مخاطبا اليهود قطعا [2]. وقد ورد مصطلح « بني إسرائيل» في القرآن إحدى وأربعين مرة، بعضها في سور مكية وبعضها في سور مدنية [3]،

(١) الشخصية اليهودية، صلاح الخالدي ص٣٨.

(٢) يقول البغوي (ت٥١٠هـ) « سل يا محمد يهود المدينة» تفسير البغوي ج ١ ص٢٦٩ طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، ويقول الرازي (ت٦٠٦هـ):«سل هؤلاء الحاضرين أنا لما آتينا أسلافهم آيات بينات فأنكروها»، مفاتيح الغيب ج ٦ ص٣٦٥، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ، ويقول أبو حيان (ت٧٤٥هـ) «من كان بحضرته من بني إسرائيل وآمن به» البحر المحيط ج٢ ص٣٤٨، طبع دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ، وراجع التفسير الوسيط، مجمع البحوث الإسلامية ج ١ ص ٣٣١، طبع القاهرة ١٩٧٣م.

(٣) ورد لفظ بني إسرائيل في القرآن في واحد وأربعين موضعا، الآيات ٤٠، ٤٧، ٨٣، ١٢٢، ٢١١، ٢٤٦، من سورة البقرة، ٤٩، ٩٣، من آل عمران، الآيات ١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ١١٠ من المائدة، ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٨ من الأعراف،٩٠، ٩٣ من يونس، ٢، ٤، ١٠١، ١٠٤من سورة الإسراء،٤٧، ٨٠، ٩٤من طه، ١٧ ٢٢، ٥٩، ١٩٧ من سورة الشعراء، ٧٦من النمل، ٢٣من السجدة، ٥٣من غافر، ٥٩ من الزخرف،٣٠من الدخان، ١٦ من الجاثية، ١٠ من الأحقاف، ٦، ١٤ من سورة الصف،=

ومعظمها يحكي مشاهد وأطرافا من قصة بني إسرائيل من بعد موسى إلى ما بعد عيسى عليهما السلام.

أما لفظ «الذين هادوا» فقد ورد عشر مرات [1]، أما كلمة « هدنا» فقد وردت مرة واحدة فقط في سورة الأعراف (١٥٦) أثناء الحديث عن قصة موسى مع قومه، أما كلمة «هود» جمع هائد فقد وردت في القرآن ثلاث مرات في مجال نقض افتراءات ومزاعم اليهود عن إبراهيم وذريته من الأنبياء، عمن يحبهم الله ويدخلهم الجنة، وهي تبطل هذه المزاعم وتنفي أن يكون إبراهيم يهوديا أو نصرانيا، أو أن الهدى في اليهودية أو النصرانية فقط [2].

أما كلمة «يهودي» فقد وردت مرة واحدة فقط في سياق النفي: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٧).

أما كلمة اليهود بالتعريف فقد وردت في القرآن سبع مرات[3]، مع ملاحظة أن المرات السبع التي ذكر فيها لفظ اليهود كانت كلها في سياق واحد يتمثل في ذم اليهود وتفنيد مزاعمهم وادعاءاتهم وكشف تحريفاتهم للعقيدة والإيمان والدين والتاريخ، وبيان شدة عداوتهم للأمة المسلمة وحسدهم لها وحرصهم على ردتها وإخراجها من دينها، وهذا كله يليق بهذه النفسية المريضة وتلك الشخصية الشائهة.

المبحث الثاني
دناءة اليهود ووقاحتهم مع الله وأنبيائه وملائكته

اتصف اليهود بصفات أخلاقية عجيبة حيث توفرت لهم مجموعة من الرذائل الأخلاقية والمفاسد السلوكية، ورسخت فيهم رسوخا ثابتا لعلها لم تتوفر ولم ترسخ لأمة أخرى من الأمم، واتخذت هذه الرذائل والمفاسد والقبائح والنقائص والأمراض والآفات النفسية خطوطا ثابتة وعلامات بارزة ومسارات مستقرة في النفسية اليهودية، فنمت في أطوائها وتغلغلت في أغوارها، والعجيب أنها لم تتمثل في جيل يهودي واحد ولا مجموعة يهودية معينة؛ لكنها تحققت في الإنسان اليهودي المشوه أينما كان - طبعا باستثناء الأنبياء

= (ينظر: المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي ص ٤١).

(١) البقرة ٦٢، والنساء ٤٦، ١٦٠، والمائدة ٤١، ٤٤، ٦٩، والأنعام ١٤٦، والنحل ١١٨، والحج ١٧، والجمعة ٦.

(٢) هذه الآيات ١٣٥، و١٤٠، ١١١ من سورة البقرة.

(٣) البقرة ١١٣، ١٢٠، والمائدة ١٨، ٥١، ٦٤، ٨٢، والتوبة ٣٠.

والصالحين منهم- ولا يسلم من ذلك اليهودي الذليل زمن فرعون ممن كان مع موسى – عليه السلام – مرورا بدخولهم فلسطين، ولا اليهودي المعاصر، فما وجدت نقيصة إلا وقد اتصف القوم بها، حتى إن الدكتور جمال حمدان يرجع سبب اضطهاد رمسيس الثاني لهم انتقاما منهم؛ لتعاونهم في خيانة واضحة مع الهكسوس غزاة مصر! فمسألة الجحود والكفران متأصلة في نفسيتهم منذ القدم وكان الله قد أكرمهم وفضلهم على العالمين يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٠).

وقد بين الله لهم سبب هذا التفضيل: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

وقال: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٣ – ٢٤).

فسبب التفضيل واضح هو طاعة الله وعبادته وحده [1]، فماذا فعل القوم ؟! قابلوا هذا بالكفر والجحود والنكران ! رغم تحذير الله لهم: ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤١).

بل إن أربع آيات من سورة البقرة احتوت على ذكر كفرهم ست مرات: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا

(١) يتفق الباحثون على أن هذا التفضيل مقصور على معاصريهم وأهل زمانهم من الأمم التي عاشت أمجادهم، راجع مثلا: بنو إسرائيل في القرآن للسيد رزق الطويل ص٥٠، الشخصية اليهودية لصلاح الخالدي ص ١١١، ١١٣.

مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٨٨ – ٩٣).

وتأمل معي هذه الآيات: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٠).

حيث فسر أهل الكتب هنا باليهود من باب إطلاق اسم الجنس على نوعه [١].

ومن وقاحتهم مع الله طلبوا رؤيته جهرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥).

كما رموا الله سبحانه بالفقر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ (آل عمران: ١٨١).

قال أبو السعود (ت٩٨٢هـ): «قالته اليهود لما سمعوا قوله: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١١)[٢]، وانظر عقليتهم وافتراءهم على مريم وحربهم لعيسى – عليه السلام – وسعيهم لقتله أشهر من أن يستدل له: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾ (النساء: ١٥٦ – ١٥٧)[٣].

حتى لما جاءهم محمد ﷺ أغلقوا قلوبهم وأنكروه وكفروا به رغم معرفتهم به:

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان، ج ٣ ص٢٠٤، ٢٧٨، طبع دار الفكر، بيروت ١٤٢٠هـ.

(٢) تفسير أبي السعود ج ٢، ص ١٢١، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) عرض القرآن لهذه العقلية السمجة التي تقتل أنقياء البشر وأطهرهم وهم الأنبياء: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾(البقرة ٦١) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(آل عمران ١١٢) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾! (آل عمران ٢١) ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(النساء ١٥٥) فماذا تنتظر من قوم هذه طباعهم ؟! ولم يقتصر الأمر على قتل الأنبياء فقط، بل كل من يأمر بعدل أو خلق أو قسط: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران ٢١).

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٨ – ٨٩).

فهذه عقليتهم ونفسيتهم مع الله وأنبيائه ورسله فماذا بعد ؟!

المبحث الثالث

شخصية اليهودي ونفسيته كما يصورها القرآن

عرضنا آنفا بعض ملامح هذه النفسية المعقدة العدوانية، وهنا نحن نفصل بعض الشيء فيما ذكره القرآن من دقائق هذه الشخصية [1]:

١- أول هذه الصفات الشخصية الملازمة لهم كالظل: صفة الخنوع والذلة والانكسار والمسكنة:

نود في البداية أن نشير إلى معنى هذه الصفة ودلالاتها، وذلك من خلال الرجوع إلى بعض أقوال أهل العلم.

يقول ابن فارس(ت٣٩٥هـ): الذال واللام في التضعيف والمطابقة أصل واحد يدل على الخضوع والاستكانة واللين. فالذل: ضد العز [2]، فالذل نقيض العز، أما المسكنة فهي الحاجة والفقر والخضوع للذلة [3]، فاليهود دائما أذلاء إما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم.

وقد ذكر القرآن هاتين الصفتين كأحد أهم ملامح النفسية اليهودية على طول تاريخهم، فالذلة والذل خلق خبيث من أخلاق نفس الإنسان يضاد الإباء والعزة، فضرب الذلة والمسكنة على اليهود هو جعل الذل وضعف العزيمة محيطين بهم كما تحيط القبة المضروبة بمن فيها، لكن متى شعر الذليل بنية من نفس القاهر، أو طاف بذهنه خيال يد تمتد إليه

(١) القرآن كعادته يرفض التعميم، بل يعطي كل ذي حق حقه حتى لو كان فاجرا كافرا، وهو يتحدث عن أهل الكتاب عموما واليهود خاصة ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (آل عمران ١١٠)، ﴿ .. مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة ٦٦)، أما عن مصطلح شخصية فيقول عنه أستاذنا المسيري: « هي نتاج تفاعل بين مجموعة من البشر ومركب من الظروف التاريخية والبيئية الثابتة على مدى زمني معقول.(ينظر: من هو اليهودي ص ١١، طبع دار الشروق، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ م).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص٣٤٥.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ج١٠ ص ٤٠، المحكم لابن سيده، ج٦ ص ٧٢١.

استخذى واستكان، وظهر السكون على بدنه، واشتمل الخشوع على قوله وفعله، وهذا الأثر الذي يسطع من النفس على البدن هو الذي يسمى المسكنة [1]. وهذا هو ديدن اليهود مع كل أنبيائهم، قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: ١١٢).

هذا الحكم عام شامل غير محصور بمكان، أو مقيد بزمان، والتعبير بضرب الذلة عليهم فيه إحكام لهذا الحكم الواقع بهم، وأن الذلة التي رماهم الله بها ذلة متمكنة مختلطة بوجودهم كما يختلط لون الجلد بالجلد لا يتغير ولا يتبدل أبدا وفي قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ حكم قاطع بمصاحبة الذلة لهم أينما وجدوا وأينما كانوا في كل موطن وفي كل زمن! هكذا هم في ذلة وهوان أبد الدهر ذلة في أنفسهم وذلة بأيدي من يذلونهم من عباد الله المسلطين عليهم، فإن نجوا من هذه الذلة التي يسوقها الناس إليهم لم يخرجوا من تلك الذلة المستولية على طبيعتهم، يقول الدكتور جمال حمدان: «أغلب تاريخ اليهود دموي لا أخلاقي رغم هزائمهم المتتالية! يخرجون من تشريد إلى تشريد» [2].

حتى في حوارهم مع سيدنا موسى بعد أن خرج بهم من مصر هربا ممن كان يستذلهم ويقتلهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١).

حكم قاطع على هذه الجماعة الشاردة الدنيئة بأن تشتمل عليها الذلة والمسكنة باطنا وظاهرا أي في كيانها الذاتي وفي واقع الحياة المسلطة عليها، فقد كان العقاب الطبيعي لهذا الغرور المستولي عليهم أن يقتل الله فيهم معاني الإنسانية الكريمة وأن يميت في نفوسهم كل معالم القوة والرجولة، ثم يسلط عليهم- مع هذا- من خارج أنفسهم قوى تسيمهم الخسف والهوان: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ

(١) ينظر: تفسير المنار ج ١ ص٢٧٥، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
(٢) اليهود أنثروبولوجيا ص ١٤، ٢٤ بتصرف واختصار.

لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٦٧).

وهذا هو معنى ضرب الذلة والمسكنة عليهم [١].

٢- ومن أهم صفاتهم النفسية: التعالي والتعصب:

ورغم هذه الذلة اللصيقة بشخصيتهم إلا أنهم متعالون متعصبون عنصريون يصفون أنفسهم بأنهم شعب الله المختار، فمن تعصبهم أنهم يقيسون الأمور من زاوية واحدة، المصلحة الشخصية أو الهوى الغالب وبمقياس محدود لا يجيدون سواه وهكذا هم أبدا فالجنة لهم وحدهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١).

وحتى هذه العصبية ليست ضد غير بني إسرائيل، بل مع بعضهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (البقرة: ١١٣).

حتى لما جاءهم محمد ﷺ بالدلائل والبراهين التي يعرفونها: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

فمهما حمل محمد وأتباعه من عوامل القوة وأسباب الإقناع فلن يتبعوه حتى يتبع ملتهم الباطلة ونحلتهم الزائفة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٠).

ولم يترك القرآن مجالا تحدث فيه عن اليهود إلا وصور نزعتهم النفسية إلى التعالي على البشر، بل وتحولهم في كثير من الأحيان إلى التعالي على بعضهم على البعض والتشكيك في قدراتهم على أساس المال والسلطة، قال تعالى في قصة طالوت: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ج ١ص ٩٠، طبع دار الفكر العربي، القاهرة.

وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٤٧).

إلى أي مدى توقف فكر اليهود عند حد المجادلة والاستعلاء، والرفض لشريعة الله وحكمه وإرشادات نبيهم على الرغم من طلبهم هم أنفسهم أن يبعث الله لهم ملكا ؟!.

ولن يكون الإنسان على هدى إلا إذا اتبع ملتهم، ويصحح لنا القرآن هذه النظرة الضيقة المحدودة بأن الهدى هو في اتباع حنيفية إبراهيم: ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٥).

أما عنصريتهم وهي قرينة التعصب في النظرة المحدودة والأفق الضيق تقوم على فكرة التميز عن الغير على أساس الجنس والعنصر[١]، وانظر نصفة القرآن: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٥).

فهذه الأحكام وإن شملت غالبية اليهود إلا أنها لا تشملهم جميعا فمهما استشرى الشر فإن فيه لمعا من الخير لا تكاد ترى، ومهما صفا الخير فإن فيه غشاوات من الشر لا تكاد تبين، واليهود وإن كانوا الشر كله من الرأس إلى القدم ففيهم الضالون، وفيهم المؤمنون فمن يستغلون الدينار من أهل الكتاب واليهود خاصة يرون أن الأميين لا حرمة لهم [٢] وهذه أبشع نظرة عنصرية.

ولعل خرافة الشعب المختار تعتمد على فرية فاجرة لاكتها ألسن ذهب عنها وقار الإيمان: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (المائدة: ١٨)[٣].

---

(١) ولا يخفى ما ألمحت إليه الآيات السابقة من صفتي الغرور والتكبر مما يمكن أن نسميه الأنا المتعالية، (ينظر: بنو إسرائيل في القرآن، السيد رزق الطويل ص١٣٢).

(٢) الأميون: هم غير اليهود وهم العرب خاصة إذ كانوا ولا كتاب لهم، (راجع التفسير القرآني للقرآن لبعد الكريم الخطيب ج ٢ ص٥٠١، التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٣ ص١٠٧، طبع الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م).

(٣) يقول القرطبي (ت ٦٧١هـ) « قالوا: نحن أحباؤه وأبناؤه، تعالى الله عن ذلك! وإنما كان في التوراة«يا أحباري ويا أبناء رسلي»، فغيروه وكتبوا: «يا أحبائي ويا أبنائي» !فأنزل الله تكذيبهم، (تفسير القرطبي ج ٢ ص٧).

٣- ومن صفاتهم الشخصية: التناقض الحاد في السلوك:

هاتان الصفتان الذلة، والشعور بالتعالي خَلَقا شخصية مليئة بالتناقض والتضاد والأشياء المتنافرة، فقد عاشوا في مناخ انعزالي في معظم تاريخهم جعلهم يعيشون نوعا من الانفصام في الرؤية جعل الصراع في المشاعر والتناقض الحاد في السلوك محورا رئيسا تحددت من خلاله السمة الرئيسية للشخصية اليهودية (١).

وقد أوضح القرآن في غير موضع هذه السمة، قال تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٤١ – ٤٢).

ويقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

إن الحق عند القوم ليس حقا؛ لأنه حق في ذاته، وإنما يكون حقا يأخذون به ويلتزمونه إذا هو حقق لهم نفعا عاجلا وكسبا ذاتيا، وإلا فهو باطل الأباطيل يسلقونه بألسنتهم ويرمونه بأيديهم، هكذا هم في قديمهم وكذلك هم في حديثهم كان علمهم من التوراة يحدثهم بأن نبيا سيظهر في العرب، وأن الله قد أخذ على الأنبياء، وعلى أتباع الأنبياء الميثاق أن يكونوا مع هذا النبي إذا ظهر، وجاءهم بكتاب مصدق لما معهم، وقد تحدث اليهود إلى العرب بهذا، وبأنهم سينتصرون لهذا النبي ويكونون معه فلما بعث محمد وعرفوه ترددوا وتوقفوا، بل حاربوه وناصروا المشركين عليه.

كما تظهر صور التناقض في النفسية اليهودية في محاولاتهم المتكررة في استبدال الباطل بالحق أو استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير كما جاء في قصتهم مع موسى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ

(١) الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، دكتور رشاد عبد الله الشامي ص ٢٨، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٠٢ رمضان ١٤٠٦هـ، اليهود أنثروبولوجيا، جمال حمدان ص ٨١، التصوير القرآني للشخصية اليهودية، أيمن الصياد، ص ٥٩ وما بعدها.

وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١).

فمن سورة البقرة، والعجيب أن الله سبحانه أنزل عليهم المن والسلوى، وهو طعام طيب كي يتنعموا برزق الله وفضله، ولكن نفوسهم المريضة تأبى إلا الرفض والتناقض والتمرد على نعم الله وعظيم عطاياه، فيطلبون من الطعام ما هو أدنى.

ولعل من أوضح الأمثلة القرآنية على التناقض في الشخصية رغم زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه إلا أنهم يحبون الدنيا ويكرهون الموت: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(البقرة: ٩٤ – ٩٦).

٤- ومن صفاتهم النفسية الرئيسة: تمكن النفاق فيهم:

وتأمل معي التناقض والازدواجية في النفسية أدت إلى تغلغل صفة النفاق في نفوسهم، فالقوم كانوا وما زالوا يعيشون في ازدواجية أخلاقية مريضة وانفصاما في السلوك والحياة، فالحرام فيما بين اليهود فقط، والأخلاق والفضائل لليهود فقط، فالزنا والغدر والسرقة محرمات لا يجوز لليهودي أن يقع فيها بين قومه يهود؛ لكنها إن تعلقت بآخرين يجوز لهذا اليهودي أن يمارسها، بل يتقرب إلى ربه بالقيام بها [١].

والنفاق ببساطة شديدة هو أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن وهو خاص بإظهار الإيمان وإسرار الكفر [٢]، فهو تناقض في الشخصية وازدواجية في التعامل مع الغير، وهذا ما سجله القرآن من صفة القوم: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٢).

وانظر كيف سولت لهم أنفسهم، وإلى أين قادهم الحقد ودفع بهم الحسد؟

لقد ائتمروا فيما بينهم، وتخيروا جماعات منهم يدسونهم في الإسلام ويدخلونهم مع المسلمين، على حساب أنهم دخلوا في الإسلام وصاروا من المسلمين نفاقا وتظاهرا.

---

(١) الشخصية اليهودية لصلاح الخالدي ص ١٤٠.

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ص ٢٢٨، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

وفي لقطة أخرى يصور القرآن تغلل هذه الصفة في نفوسهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٦).

يقول القرطبي: «الآية في اليهود، وذلك أن ناسا منهم أسلموا، ثم نافقوا، فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به آباؤهم، فقالت لهم اليهود: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي حكم الله عليكم من العذاب؛ ليقولوا نحن أكرم على الله منكم»[(١)].

انظر إلى هذا المرض العضال، إنهم يلقون المؤمنين بوجه المنافقين، يقولون لهم: آمنا بما تؤمنون به، وذلك منهم على سبيل الاستهزاء المتستر وراء نفاقهم المفضوح، ثم إن لهم مكرا غير هذا المكر أيضا، حين يخيل إليهم جهلهم أن دعوة الإسلام قائمة على خواء، وأنها تتلمس من خارج محيطها القوى التي تسندها وتشدها؛ ولهذا فهم يتناجون ويتناصحون: ألا يتحدثوا إلى المسلمين بما عندهم من علم التوراة وأخبارها حتى لا يتخذ المسلمون من ذلك حججا يقيمونها في وجه اليهود! فهم يعلمون أكثر من غير ما في التوراة عن محمد ورسالته، بل ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم[(٢)]، ومع ذلك يستخدمون معه هذه الحيلة الرخيصة.

يقول الدكتور محمد عزة دروزة: «جمهور المفسرين على أن شياطين المنافقين هم اليهود، ووصف اليهود بشياطين المنافقين يفيد أنهم هم الذين كانوا يوسوسون للمنافقين ويغوونهم، وهو يدل على الأثر الكبير الذي كان لليهود في حركة النفاق والمنافقين»[(٣)].

هكذا هم اليهود وهذه صفتهم وهم لا يعلمون أن النفاق داء يصيب المجتمع الإنساني، فإذا تفشى هذا الداء الخبيث في جماعة من الجماعات فسد وجودها وضل سعيها وغشيتها أمواج الفتن واشتملت عليها عواصف العداوة والبغضاء، وماذا يرجى من جماعة تتعامل فيما بينها بالرياء والنفاق فيضيع في محيطها المفهوم الحقيقي للغة، وتصبح الكلمات لديها عملة زائفة، يتداولها الناس كما يتداولون الأشياء المسروقة وهكذا كان اليهود طوال تاريخهم، فهم والنفاق وجهان لعملة واحدة.

---

(١) تفسير القرطبي ج ٢ ص٣، تفسير البيضاوي ج ١ ص٤٧.

(٢) حتى إن عبد الله بن سلام حدث عمر بن الخطاب قال: والله لنحن أعرف به من أبنائنا، من أجل الصفة والنعت الذي نجده في الكتاب، أما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء، (ينظر: تفسير الطبري ج ١١ص ٢٩٦، تفسير القرطبي ج٢ ص١٦٣).

(٣) اليهود في القرآن لمحمد عزة دروزة ص ١٠٠، وما بعدها، طبع المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٦٦ م.

وكيف الحياة لمجتمع يعيش على الختل والخداع، ويتغذى من مادة الكذب والزور.

من أجل هذا وكثير غيره مما ينضح به النفاق من شر وبلاء حارب الإسلام النفاق والمنافقين، وعمل على تطهير المجتمع الإسلامي وحمايته من هذا الداء الخبيث الذي هو شر ما يبتلى به إنسان أو مجتمع.

٥- ومما نتج عنه تغلغل النفاق فيهم: الخداع والتحايل.

ثم إنَّ وصفة النفاق جعلتهم يميلون دائما وأبدا إلى الخداع والتحايل مما يبين خبث هذه الصفات النفسية وأثرها على سلوكهم؛ مخالفين بذلك أوامر الله وليلبسوا على الناس نفاقهم وزيفهم، وقد أشار القرآن لهذه الصفة الخبيثة في أكثر من موضع منها:

أ- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٨ - ٥٩).

ب- وموقف آخر يبين خداعهم وتحايلهم حتى على الشرع الشريف، فقد حرم الله على اليهود بعض الطيبات عقوبة لهم مثل شحوم الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٤٦ - ١٤٧).

والآية تفسير لما أبهم في سورة النساء: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٦٠).

يشرح لنا النبي الكريم كيف تحايلوا على هذا الحكم: « لعن الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم، فجملوها، فباعوها»، وفي رواية « قاتل الله اليهود، حرم الله عليهم الشحوم، فباعوها وأكلوا أثمانها»[1]. يوضح ابن حجر العسقلاني أن ما ذكر من التحريم نصا هو الأكل لكن لم ينص على البيع فتحايلوا بأنهم أذابوها ثم باعوها وأكلوا ثمنها « حرمت عليهم الشحوم» أي

(١) الحديثان رواهما مسلم في باب تحريم بيع الخمر، الأول عن ابن عباس رقم ١٥٨٢، والثاني عن أبي هريرة رقم ١٥٨٣، وهذا يدل على أن هذه الشخصية تتسم بالعناد والتعنت.

أكلها وإلا فلو حرم عليهم بيعها لم يكن لهم حيلة فيما صنعوه من إذابتها [1].

ج- ومن أشهر أمثلة تحايلهم ما ذكره القرآن عن القرية التي كانت حاضرة البحر: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣ – ١٦٦).

هو سؤال موجه إلى اليهود،وقد مكر أصحاب هذه القرية بهذا اليوم، فكانوا يحتالون على العمل فيه، وخاصة فيما يتصل بصيد السمك الذي كان العمل الغالب عليهم.

ولهذا فقد ابتلاهم الله في هذا اليوم بابتلاء آخر، وهو أن الحيتان كانت لا تظهر في شاطئ البحر طوال أيام الأسبوع إلا يوم يسبتون، أي يوم السبت.

فإذا كان يوم السبت جاءت الحيتان من كل صوب تتراقص أمام أعينهم، حتى لتكاد تُلقي بنفسها إلى اليابسة وفي ذلك ابتلاء لهم أي ابتلاء، فإما أن يصبروا على حكم الله فيهم فلا يمدوا أيديهم إليها، وإما أن يأخذوا منها ما يشاءون، وفي هذا هلاكهم فلا تبقى منهم باقية.

وقد وقف القوم موقفا وسطا خيل إليهم فيه أنهم يخدعون الله، وأن الله سينخدع لهم، وتحايلوا فجعلوا ينصبون شباكهم يوم الجمعة بالليل؛ ليقع فيها السمك نهار السبت، حتى إذا كان آخر النهار ومضى يوم السبت أو يوم الأحد صباحا أخرجوا شباكهم وقد امتلأت صيدا، ولهذا فقد صير الله سبحانه السبت لعنة عليهم، فحرم عليهم فيه أي عمل بعد أن كان رحمة ومقدسا [2].

هذه الصفات أورثتهم صفة أخرى خبيثة وهي الإغراق في الآمال، وهي صفة ذكرها القرآن أساسا لبيان اهتمامات المجتمع المشرك التي صرفتهم عن ربه:﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٣).

(١) فتح الباري ج٤ ص ٤١٥.

(٢) القصة مبسوطة في كتب التفسير.(راجع مثلا تفسري القرطبي ج ٧ص٣٠٤ وما بعدها، البحر المحيط لأبي حيان ج ٥ ص٢٠٢، تفسير ابن كثير ج ١ ص٢٨٨).

يقول الزمخشري عن قول الله تعالى لسيدنا محمد «ذرهم»:« اقطع طمعك من ارعوائهم، ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة، وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال، وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم [1].

وقد حذر الرسول ﷺ من هذا الخلق: «لا يزال قلب الشيخ شابا في اثنتين حب المال، وطول الأمل »[2].

وقد أوغل اليهود في هذا المجال أيما إيغال، يقول الله في شأنهم: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة: ٧٨).

فالكتاب المنزل عندهم ليس منهاجا للعمل والسلوك وقيادة الأرواح إلى الله وتنظيم الحياة؛ وإنما هو وسيلة مظهرية لتحقيق آمال باطلة والكلام هنا عن اليهود: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾، إلا ما هم عليه من أمانيهم في أن الله تعالى لا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة [3]. يقول ابن عجيبة (ت١٢٢٤هـ): أماني: جمع أمنية، وهي في الأصل: ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر؛ ولذلك تطلق على الكذب، وعلى ما يتمنى، أي: من اليهود عوام أميون لا يقرءون الكتاب ولا يفهمونه، لكن يسمعون من أحبارهم أماني كاذبة، وأشياء يظنونها من الكتاب ولا علم لهم بصحتها، كتغيير صفته ﷺ وغير ذلك، أو مواعيد فارغة ومطامع خاوية سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا هم، وأن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة وغير ذلك من أمنيتهم الفارغة وأمانيهم الباطلة [4].

ومن أمانيهم الباطلة﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ

(١) الكشاف ج ٢ ص٥٧٠.

(٢) رواه النسائي في سننه ج ١٠ ص٣٧٨، كتاب الرقائق، حديث ١١٧٦٦، مسلم في باب كراهية الحرص على الدنيا بلفظ « يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر»حديث رقم ١٠٤٧، وابن ماجه في سننه باب الأمل والأجل حديث ٤٢٣٤.

(٣) مفاتيح الغيب الرازي ج ٣ ص٥٦٤.

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج ١ص١٢٤، نشر على نفقة حسن عباس زكي، القاهرة ١٤١٩ هـ.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨٠ – ٨٢).

حتى العصاة منهم غارقون في الآمال ينتظرون محاباة من ربهم ولم لا ؟ أليسوا شعب الله المختار؟ أليسوا أبناء الله وأحباؤه [١] ؟ لكن الله يؤكد لهم سنة العدالة والقسط.

٦- **ومن أعظم وأقبح صفاتهم الشخصية: الكذب،** وهي صفة لا يتصف بها مؤمن بالله ومصدق بأنبيائه أبدا [٢]؛ هذا لأن الكذب خلق ذميم وانحراف مدمر ومرض خطير إذا تعمق في نفس شخص وصار له خلقا دائما نضبت معاني الخير في نفسه، وتمكن هذا المرض منه واستعصى على العلاج.

وتمثل هذا الكذب في اليهود أينما كانوا، ومارسوا الكذب والافتراء في كل المجالات: كذبوا على الله سبحانه، وكذبوا على أنبيائه، وكذبوا على صالحيهم، وكذبوا على الأمم الأخرى.

والعجيب أنهم جعلوا هذا الكذب دينا وعقيدة وعبادة وقربى، وتقربوا به إلى ربهم، وطبقوا فيه دينهم، وحاربوا بهذا الكذب الحق والخير والصدق والرسل والدعاة والمصلحين.

وسنرى فيما عرضنا لبعض المُثُل كيف شمل الكذب حياة اليهودي في كل مرافقها وسرى في كل مجالاتها، فاليهود كاذبون في حياتهم الدينية وعبادتهم ونظرتهم إلى الله، اليهود كاذبون في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والعلمية والنفسية [٣].

اليهود كاذبون على الأعداء وعلى الأصدقاء، وعلى المحالفين، والمحاربين، والمعارضين.

كما أنهم سماعون للكذب [٤] وحب سماع الكذب لا يقل مساءة وخزيا عن الكذب نفسه.

---

(١) هم يسمون أنفسهم الشعب الأزلي، والشعب الأبدي حيث يعتقدون أنهم مثل الله لا أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وهم شعب مقدس.(راجع الشخصية اليهودية الإسرائيلية لرشاد الشامي ص ٢٩).

(٢) سئل النبي ﷺ: أيكون المؤمن جبانا؟ قال:« نعم» قيل: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال:« نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال:« لا » رواه البيهقي في شعب الإيمان ج ٦ص٤٥٦ ،رقم ٤٤٧٢ .

(٣) الشخصية اليهودية للدكتور صلاح الخالدي ص ١٩٦ بتصرف.

(٤) المتأمل في النصوص القرآنية فيما يخص بني إسرائيل يجدها تعج بالألفاظ الدالة على سلوك بني إسرائيل، لا سيما تلك التي مارسوا فيها أشد ألوان الفساد، وحينما نتحدث عن السلوك إنما نقصد الممارسة التي تمارسها تلك الشخصية التي تصبح علامة دالة عليه من ذلك: عبادتهم العجل، وتخريب البيوت، ونقض العهود، ونبذ الكتاب، والإيذاء، وأكل السحت، وسماع الكذب، البخل، لي اللسان وفتله، المسارعة في الكفر، إخراج الناس، التولي والإعراض، قتل الأنبياء، تبديل الكلام، راجع الآيات ٥٩ ، ٦١، ٦٤، ٧٥، ١٠١ من سورة البقرة، والآيات ٣٧، ١١٢، ١٨٦، ١٨٧، من آل عمران، ٤٦، ١٥٣ من النساء، مع ملاحظة أنها جاءت في الأغلب بصيغة المضارع: يسعون في الأرض فسادا، يقتلون النبيين يسارعون في الكفر، ينقضون الميثاق إلخ، كما جاءت لغة القرآن الكريم مستخدمة مجموعة من الأوصاف=

وقد أشار القرآن لبعض أكاذيب اليهود منها: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٨).

ومنها: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (آل عمران: ٩٣ – ٩٥).

ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٨٣ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴾ (آل عمران: ١٨٣ – ١٨٤).

ويقول: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٤٩ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٤٩ – ٥١).

ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ

= الجامعة لكل أخلاق بني إسرائيل،حيث جاء الوصف نتيجة للسلوك الذي اتبعوه طوال حياتهم، والقرآن يصف لنا هذه الشخصية وصفاً عميقا يتفق ومحور السلوك، من هذه الأوصاف: الشر، الكذب، التشرذم، الشرك، الغواية، الإبطال، الجهل، الخيانة، الافتراء، الفساد، السفاهة، الأمية، الظلم، الفسق. (راجع لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل، لافي محمد محمود زقوت ص ٥٧ وما بعدها، بحث منشور بجامعة النجاح بفلسطين).

ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (المائدة: ٤١ – ٤٢).

فما أحد أكثر من اليهود كذبا ولا أجرأ منهم عليه، فهذه الآيات تقرر بوضوح وتحديد أن اليهود قوم كاذبون، وأنهم قد استمرؤوا هذا الكذب ورضوه لهم خلقا ودينا وسلوكا وحياة، وأنهم شملوا بكذبهم كل شيء، ووجهوه إلى كل شيء، ولاحظ صيغة المبالغة في الآيتين الأخيرتين أي كثيرو السماع للكذب والقبول له [١].

٧- ومن خبائث صفاتهم التي صورها القرآن أبلغ تصوير وبرزت فيه ملامح شخصيتهم: الخيانة والغدر ونقض الميثاق، والناظر في القرآن يجد الخيانة متأصلة في نفوس اليهود ممتزجة بدمائهم حتى وكأنهم رسل الخيانة وحماتها بين الناس.

إن القرآن عبر عن هذه الخيانة بقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة: ١٣).

لو لم يكن في القرآن حديث عن خيانة اليهود إلا هذه الآية لكفت [٢]، فتدلنا هذه الآية على سبب تأصل الخيانة فيهم المشار إليه بباء السببية «فبما» [٣] فنقضهم الميثاق مع الله هو السبب في الأخلاق المرذولة والجرائم الشنيعة والخيانات المتكررة، فمن تجرأ على الله ونقض عهده معه يهون عليه أن يخون البشر وينقض عهده معهم.

كما تخبرنا الآية بأن خيانات اليهود متكررة ومتجددة ومستمرة « ولا تزال تطلع» والخطاب فيها للرسول ﷺ يطلع في كل وقت على خيانات اليهود المعاصرين له [٤]، كما أن

(١) البحر المديد لابن عجيبة ج ٢ ص٤٠.

(٢) ذكرت كلمة ميثاق في القرآن ثمانية وعشرين مرة كلها تتحدث عن خيانة اليهود لهذا الميثاق ونقضهم له. وقد أثمرت هذه المعاصي لعنة وطردا من رحمة الله، ثم أثمرت هذه اللعنة بنص الآية قسوة وغلظة لقلوبهم حتى كأنها الحجارة أو أشد قسوة كما ذكر في سورة البقرة.

(٣) يقول الرازي فيها:«أي من أجلها وبسببها». (ينظر: مفاتيح الغيب ج ٣٠ص٦٥٨، وراجع تفسير البيضاوي ج ٢ ص١٠٧).

(٤) تفسير البيضاوي ج٢ ص١١٩، البحر المحيط ج٤ ص٢٠٦.

الخطاب موجه لكل مسلم أينما كان يدعوه لينظر في حياة اليهود بعينين ثاقبتين؛ ليطلع منهما على خياناتهم المستمرة، كما هو موجه لكل ناظر في التاريخ ودارس لأحداثه؛ ليطلع على خياناتهم، كما أن هذه الخيانة نكرة فتشمل كل النواحي والجوانب والأشكال والمجالات مثلما هي مستمرة في الزمان والمكان، فأنت تطلع في كل وقت على خائنة منهم في أقوالهم، وخائنة في حركاتهم وفي أعمالهم، وخائنة في عهودهم ومواثيقهم، وخائنة في ارتباطاتهم وتحالفاتهم، وخائنة في معاهداتهم ومفاوضاتهم، فهم شياطين الخيانة وأربابها، وتأمل جيدا ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾ من توجيهها النظر لكل من يمكنه النظر أينما كان.

ويؤكد هذا المعنى القرآن نفسه: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٠ – ١٠١).

هذا العهد وذلك الميثاق وضحه القرآن نفسه﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣)[١].

والفريق اسم جنس لا واحد له يقع على القليل والكثير، وإنما قال فريق؛ لأن منهم من لم ينبذه [٢]، يضيف ابن عاشور:« وليس المراد أن ذلك الفريق قليل منهم فنبه على أنه أكثرهم بقوله:﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣]، يقول الطبري(ت٣١٠هـ):« فمعناه طرحه فريق منهم ورفضه ونقضه. وأضاف: والفريق الجماعة لا واحد له من لفظه بمنزلة الجيش والرهط الذي لا واحد له من لفظه» [٤].

(١) بين العهد والميثاق عموم وخصوص، فكل ميثاق عهد وليس كل عهد ميثاق؛ لأن المعنى اللغوي للميثاق يدل على الإتقان والإحكام؛ لذا فهو أقوى من العهد، ويستخدم عند تأكيد العهد أو اليمين، وهذا ما أكده الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ) بقوله:« الميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(آل عمران ٨١) وقال:﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾(الأحزاب٧). (ينظر: المفردات ص٥٩١، التعريفات للشريف الجرجاني ص ١٥٩، لسان العرب ج٣ ص٣١١، مادة عهد).

(٢) روح المعاني للألوسي ج ١ ص٣٣٥، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٣) التحرير والتنوير ج ١ ص٦٢٥.

(٤) تفسير الطبري ج ٢ ص ٤٠١.

٨- من الصفات النفسية اللصيقة باليهود والتي ركز عليها القرآن: البخل[١] والحسد:

وقد جاءا في سياق واحد: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ٥١ – ٥٤).

إنها كزازة نفس وسوء خلق وفساد ضمير وأنانية قاتلة وشح لئيم، فالشح هو الطبع الغالب عليهم لا تند من أيديهم ذرة خير لأحد لما انطوت عليه نفوسهم من كراهية للناس جميعا حيث يجدون الراحة والرضا فيما ينزل بالناس من كوارث ومحن، فكيف يكون منهم عمل يخفف عن الناس لمّا، أو يسوق إليهم عافية؟.

إنهم لو كان إلى أيديهم شيء من رحمة الله وفضله، يقول الزمخشري:« الآية وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين: يمنعون ما أوتوا من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم، والنقير النقرة في ظهر النواة»[٢]، ويبين خطورة هذه الصفة القاضي البيضاوي بقوله:«هذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم إن بخلوا بالنقير وهم ملوك، فما ظنك بهم إذا كانوا فقراء أذلاء متفاقرين» [٣] ؟!

ويقول أبو حيان:« في هذه الآية تعريض بشدة بخلهم»[٤].

ويُبيّن – رحمه الله – سبب تقديم صفة البخل على الحسد في سياق هذه الآيات قائلاً:« فهم بخلاء حريصون على أن لا يكون ظهور لغيرهم.. أنكر عليهم أولا البخل، ثم ثانيا الحسد. فالبخل منع وصول خير من الإنسان إلى غيره، والحسد تمني زوال ما أعطى الله

(١) يقول فولتير الكاتب الساخر المعروف عنهم:« إنك لتجد فيهم مجرد شعب جاهل متوحش زاول لمدة طويلة أخس أنواع البخل، وأبغض أنواع الخرافات، ويحمل كراهية لا تعادلها كراهية لكافة الشعوب التي تسامحت معه وكانت سببا في ثرائه»، الشخصية اليهودية الإسرائيلية لرشاد الشامي ص ٤٠.

(٢) لكشاف ج ١ ص ٥٢١، ويقول القرطبي:« هي النكتة في ظهر النواة» تفسير القرطبي ج ٥ ص٢٤٩.

(٣) أنوار التنزيل، ج ٢ ص٧٩.

(٤) البحر المحيط ج ٣ ص٦٨٣.

الإنسان من الخير وإيتاؤه له. نعى الله تعالى عليهم تحليهم بهاتين الخصلتين الذميمتين، ولما كان الحسد شر الخصلتين ترقى إلى ذكره بعد ذكر البخل» [1].

٩- ويرتبط بالصفتين السابقتين صفة أكل الحرام والتلذذ بالسحت واستمراء الربا:

وقد تحدث القرآن في بعض الآيات باعتبار هذه الأفعال أنماطا سلوكية لليهود وليست وصفا، كقوله تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦١) [2]. فقد استحلوا الربا، وقد نهاهم الله عنه، وقد بلغ من جرأتهم على الله أن حرفوا التوراة وأقاموا نصوصها على الوجه الذي يرضون، فجعلوا الربا محرما إذا كان بين يهودي ويهودي، ومباحا حلالا إذا كان بين يهودي وأممي، أي غير يهودي [3].

وقد عبر القرآن في أكثر من مرة عن ذلك بأكل السحت: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة: ٦٢ – ٦٣).

سمي بهذا؛ لأنه يسحت الأشياء، أي يذهبها ويستأصلها من «سحته» إذا استأصله؛ لأنه مسحوت البركة، يقول الشوكاني (ت١٢٥٠هـ): أصله الهلاك والشدة، من سحته إذا أهلكه ومنه فيسحتكم بعذاب»[4].

١٠- ومن صفات اليهود اللصيقة بهم: الجبن الشديد:

وقد كشف القرآن مكنون نفوسهم وكيف أنهم لا ينفكون عن الجبن الشديد منذ القدم

---

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص٦٧٨.

(٢) يقول القرطبي: المقصود أكل المال الحرام عموما لا الربا الشرعي المعروف. (ينظر: تفسير القرطبي ج ٣ ص٣٤٨، لكن البيضاوي ذكر أن الربا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا، تفسير البيضاوي ج ٢ ص١٠٩).

(٣) جاء في توراتهم المحرفة: « لا تقرض أخاك بربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقرض بربا.. للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا» !! تثنية ٢٣: ١٣، وكل ذلك كان محرما عليهم في التوراة الأصيلة التي أنزل الله على موسى، ولكنهم ابتدعوا حل ذلك بالنسبة لغير اليهود، فقد أباح لهم تلمودهم أموال غيرهم يأخذونها بأي طريق، كما أباح لهم سفر الخروج (٣: ٢٢) أن يأخذوا أموال المصريين وأمتعتهم وحليهم وهم خارجون من مصر، وكل ذلك مدخول على ما شرعه الله في التوراة، وباطل لا يشرعه الله.

(٤) فتح القدير ج ٢ ص٤٨، طبع دار ابن كثير بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

يقول القرطبي: «هي خبر عن قوم من بني إسرائيل نالتهم ذلة وغلبة عدو فطلبوا الإذن في الجهاد وأن يؤمروا به، فلما أمروا كع أكثرهم وصبر الأقل» [١].

وجاء في تفسير المنار: «هذه القصة – قصة قوم من بني إسرائيل – تؤيد ما قبلها من حاجة الأمم إلى دفع الهلاك عنها، فهي تمثل لنا حال قوم لهم نبي يرجعون إليه، وعندهم شريعة تهديهم إذا استهدوا، وقد أخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر كما خرج أصحاب القصة الأولى بالجبن فعلموا أن القتال ضرورة لا بد من ارتكابها ما دام العدوان في البشر، وبعد هذا كله جبنوا وضعفوا عن القتال فاستحقوا الخزي والنكال» [٢].

١١- ومن سماتهم النفسية: قسوة القلب:

قال تعالى في سياق قصة قتيل بني إسرائيل: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٤).

لقد وصف الله تعالى اليهود بالقسوة وغلظة القلب بعد ما رأوا الآيات التي تنطق بالحق، فشاهدوا إحياء القتيل أمام أعينهم، ومع ذلك لم تتحرك قلوبهم ولو قليلا، بل تيبست وقست فهي كالحجارة في صلابتها وعدم ليونتها، بل أشد قسوة منها؛ فبعض الحجارة أنفع للحياة من بين إسرائيل، يقول القرطبي: «القسوة: الصلابة والشدة واليبس وهي عبارة عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات الله» [٣]، وهو ما أكده البيضاوي بقوله: «القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة، كما في الحجر» [٤].

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص٢٤٤، ورجل كع وكاع إذا جبن عن القتال.
(٢) تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ج ٢ ص٣٧٦، ولاحظ أنهم هم الذين طلبوا القتال ولم يفرض عليهم ابتداء.
(٣) تفسير القرطبي ج ١ ص٤٦٢.
(٤) تفسير البيضاوي ج ١ ص٨٨.

١٢- ومن صفاتهم: الرغبة العارمة للإفساد في الأرض: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: ٦٤).

هكذا هم اليهود وتلك طبيعتهم: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠).

يقول البيضاوي: «ويسعون في الأرض فسادا أي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد وإثارة الحروب والفتن وهتك المحارم، والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم إلا شراً[(١)].

ومكون أساسي من مكونات الشخصية اليهودية هو الفسق الذي امتزج بلحومهم ودمائهم، ولاحظ أن أول من وصفهم بهذا هو موسى – عليه السلام –: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥).

وقد صدق الله على هذا الوصف وأقره: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۚ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(المائدة ٢٦)، وجاء أيضا ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (الصف: ٥).

ولإنصاف القرآن جعل هذا وصفا للأكثرية منهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (المائدة: ٥٩).

وسياق الآيات يؤكد أن الخطاب لليهود، وكرر ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ (المائدة: ٨١)، والخطاب لليهود قطعا بسياق الآيات[(٢)].

(١) تفسير البيضاوي ج ٢ ص١٣٥.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ج ١٢ص ٤١٣، أنوار التنزيل ج٢ ص١٣٩، تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص١٤٥.

ومثل قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ٢٦)

والفسق الخروج من الطاعة، وأصله فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت»[١].

وجاء في المصباح المنير: «فسق فسوقا من باب قعد خرج عن الطاعة والاسم الفسق. أصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها»[٢].

الخاتمة

١. كانت حياة بني إسرائيل في بداية الأمر حياة رعوية، ثم عاشوا حياة حضرية في مصر ثم أراد الله لهم إنقاذا من الذل؛ ليقيموا ملكا يحتكم إلى شرع السماء في فلسطين، والقرآن يسجل عليهم وهم في طريق تحقيق هذا الهدف ألوانا شتى من الانحراف النفسي في شخصيتهم أثمر انحرافا عقديا وسلوكيا في علاقتهم مع الله ومع الناس حتى مع بعضهم البعض.

٢. وصف القرآن الشخصية اليهودية وصفا دقيقا أظهر ما فيها من قعود مزر وتواكل ممقوت حين دعاهم نبيهم الذي طلبوه للجهاد وأظهروا من الجبن والخور والضعف النفسي ما يدل على هذه الشخصية المتناقضة الرعناء.

٣. علاقة الإنسان بالله إذا صحت وتوثقت صحة كل تعاملاته الدنيوية، وكان أفضل البشر قاطبة، وإذا فسدت وساءت الأخلاق هوى إلى مستنقع سحيق، وقد تناسى بنو إسرائيل هذه الحقيقة فظنوا أن تفضيل الله لهم على العالمين لقرابة أو محاباة وظلوا متمسكين بأنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل البشر وجميع الخلق خدم لهم؛ مما شوه نفسيتهم وعقد شخصيتهم فصارت شخصية سادية أنانية متكبرة عنيدة لا تنصاع للحق مهما كان مصدره ووضوحه؛ فلعنهم الله وغضب عليهم كما سجله القرآن بكل دقة وبأدق التفاصيل النفسية.

٤. الجرأة على الله بحجة البنوة له أو الحب وانحراف واضح في عقيدة اليهود؛ مما أسفر عنه جدلا سخيفا ومراءاً ظاهرا في المجتمع الذي يؤمن بهذه الخرافات، ولم يسلم بنو إسرائيل منها فاستحقوا الذلة والمسكنة والخزي في الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (ت) ج٤ ص٦٩، تحقيق: عبد السلام هارون، طبع دار الفكر ١٩٧٩م.
(٢) ينظر: المصباح المنير للفيومي (ت٧٧٠هـ) ج٢ ص ٤٧٣ مادة فسق.

٥. لا يزال حديث القرآن عن بني إسرائيل – رغم كثرة ما كتب فيه – في الكثير من الجوانب تحتاج مزيدا من الجهد والبحث لاستخراج كنوزه واكتشاف مكنونه، وعسى الله أن ييسر لنا الأمور وأن نكمل ما بدأناه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٦. كشف التصوير القرآني نفسية اليهود المعقدة المتشابكة الخيوط، والتي تأصلت فيها الغدر والخيانة، وتشبعت باللؤم والمكر والخديعة، متطلعة دائماً للمال والسلطة، متعالية على البشر لإحساسها بالدونية في قرارة نفسها.

٧. إن المتتبع للنص القرآني في وصفه لليهود يجد نموذجاً فريداً من التحليل النفسي لجماعة من البشر في أدق تفاصيل حياتهم وطباعهم وأخلاقهم وأفكارهم وميولهم وعقيدتهم وعلاقتهم بالآخرين والانحراف في شخصياتهم.

المصادر والمراجع

١. أنوار التنزيل وأسرار التأويل – المعروف بتفسير البيضاوي– ناصر الدين سعيد بن عبد الله عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ) طبع دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ) طبع دار الفكر بيروت ١٤٢٠هـ، بدون ذكر لرقم الطبعة.

٣. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) نشره حسن عباس زكي بالقاهرة ١٤١٩هـ.

٤. بنو إسرائيل في ضوء الإسلام،محمد أمين سليم، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد٣، السنة ٧، يناير ١٩٧٥م.

٥. بنو إسرائيل في القرآن، الدكتور السيد رزق الطويل، طبع دار المعارف ١٩٨٠م، بدون رقم الطبعة.

٦. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الدكتور محمد سيد طنطاوي، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠١م.

٧. بنو إسرائيل في ميزان القرآن، البهي الخولي، طبع دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.

٨. التحرير والتنوير – تفسير ابن عاشور– محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) طبع الدار التونيسة للنشر ١٩٨٤م.

٩. التصوير القرآني للنفسية اليهودية دراسة تحليلية، دكتور أيمن السيد علي الصياد، منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثاني عشر، السنة السابعة.
١٠. التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
١١. تفسير أبي السعود العمادي (ت٩٨٢هـ) طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ للطبع.
١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير(ت٧٧٤هـ) طبع دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١٣. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت١٣٩٠هـ) طبع دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
١٤. تفسير المنار السيد محمد رشيد رضا، (ت١٣٥٤هـ) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، بدون رقم للطبعة.
١٥. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من علماء مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، طبع المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
١٦. جامع البيان في تأويل القرآن –تفسير الطبري– محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق: أحمد شاكر، طبع مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
١٧. الجامع لأحكام القرآن –تفسير القرطبي – أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني، طبع دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، طبع الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٩. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
٢٠. السنن الصغرى للنسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية ١٩٨٦م.
٢١. الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، دكتور رشاد عبد الله الشامي،

سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٠٢، يونيو ١٩٨٦م.
٢٢. الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دكتور صلاح الدين الخالدي، طبع دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٢٣. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زاهر ناصر، طبع دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٥. صفات اليهود كما يصورها القرآن الكريم، دراسة موضوعية بيانية، دكتور زكريا إبراهيم الزميلي، دكتور رمضان يوسف الصيفي، بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠١٠م.
٢٦. صورة اليهود في القرآن والسنة والأناجيل، إبراهيم أبو عواد، مطبعة دار اليازوري، عمان الأردن، ٢٠٠٨م،بدون رقم للطبعة.
٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ) طبع دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
٢٨. لسان العرب، جمال الدين بن منظور الأنصاري المصري (ت ٧١١هـ) طبع دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٢٩. لغة الخطاب القرآني في بني إسرائيل، دراسة أسلوبية، لافي محمد محمود زقوت، طبع جامعة النجاح، نابلس، فلسطين ٢٠١٠م.
٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ) طبع المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
٣١. المطلع على ألفاظ المقنع، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي (ت٧٠٩هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط، طبع مكتبة السوادي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣هـ.
٣٢. ٣١-معالم التنزيل في تفسير القرآن - المعروف بتفسير البغوي- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفراء، (ت٥١٠هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٣٣. مفاتيح الغيب - أو التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ) طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٣٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان، طبع دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣٥. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، طبع دار الفكر ١٩٧٩م.
٣٦. من هو اليهودي، دكتور عبد الوهاب المسيري، طبع دار الشروق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.
٣٧. اليهود أنثروبولوجيا، للدكتور جمال حمدان، سلسلة اقرأ، العدد ٦٨٢.
٣٨. اليهود في الظلام، للدكتور أحمد شلبي، طبع الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م.
٣٩. اليهود في القرآن، عبد الكريم الخطيب، طبع دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
٤٠. اليهود في القرآن، محمد عزة دروزة، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٦م.
٤١. اليهود من الكتب المقدسة، الأستاذ محمد فؤاد الهاشمي ن طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، سلسلة دراسات في الإسلام العدد ٧٢، ١٩٦٧م.
٤٢. اليهود الموسوعة المصورة، دكتور طارق سويدان، طبع شركة الإبداع الفكري، الكويت، ٢٠٠٩م.
٤٣. اليهود واليهودية، دكتور عبد الجليل شلبي، كتاب أخبار اليوم، القاهرة، عدد مارس ١٩٩٧م.